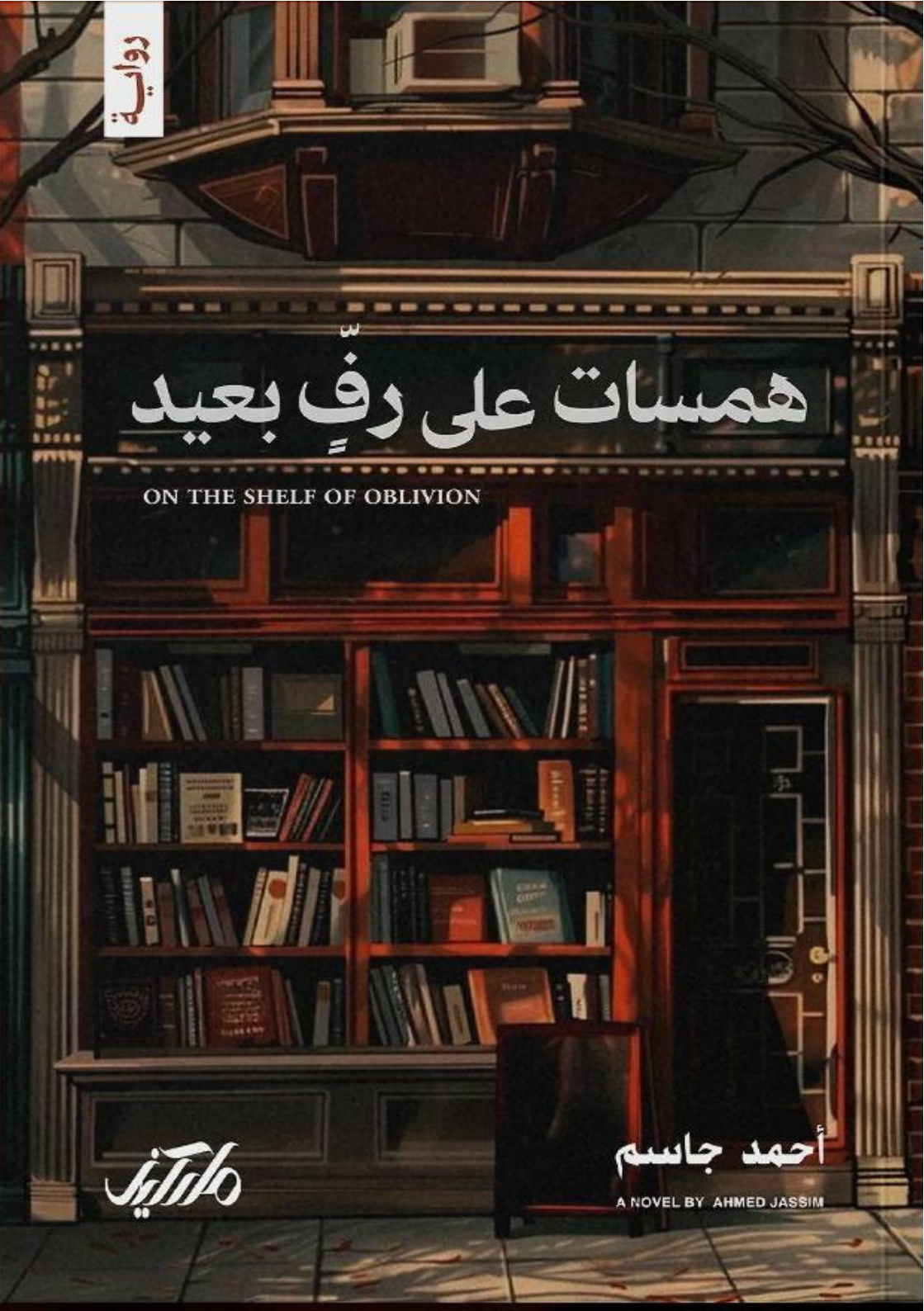

رواية
همسات على رفٍّ بعيد
ON THE SHELF OF OBLIVION
أحمد جاسم
A NOVEL BY AHMED JASSIM

همسات على رفٍّ بعيد

حساب الكاتب

أحمد جاسم
Insta: av_mx0

المقدمة

ليست كل القصص تُقال... بعضها يُحتفظ به كغبارٍ على رفٍّ لا يفتحه أحد".

كنا صامتين حين التقينا، وصامتين حين افترقنا.

بين البداية والنهاية، لم نقُل الكثير... لكننا شعرنا بكل شيء.

لم أكن بطلًا لرواية أحد، ولم تكن هي كاتبةً لقلبي.

كنا اثنين تائهين، التقينا في وقتٍ خَسِرَ فيه كلٌّ منّا نفسه... فحاولنا أن ننقذ بعضنا، دون أن نعرف كيف.

لم نُحب كما يُحبّ الناس، لم نتواعد، لم نلتقط صورة واحدة، ولم يعرف أحد أننا وُجدنا معًا ذات يوم.

لكن قلبي ظلّ يذكرها كأنها وطنٌ، مررتُ به مرة واحدة... ثم ظلّ يسكنني.

أكتب الآن عنها، لا لأستعيدها... بل لأضعها برفق، حيث يجب أن تكون:

همساتٍ على رفّ بعيد... بجانب أشياء لم أقدر على نسيانها.

رفّ واحد، وذكرى ثقيلة

كل ليلة، أجد نفسي أفتح ذاك الرفّ القديم، لا لأبحث عن شيء محدد، بل لأستعيد ما تبقى من ذاكرتنا المهجورة هناك. الغبار الذي يستقر فوق الأشياء، كأنه يغلفها بهدوء، يحفظها من النسيان، لكنه لا يمنعني من أن أشعر بآثارها، وبصمتها الذي ما زال يصرخ في صمت داخلي.

لم تكن الأشياء في الرفّ سوى شظايا صغيرة من عالمٍ قديم، عالمٍ كنت أظن أنني فقدته إلى الأبد، لكنه ظل حيًا يختبئ بين تلك القطع، بين صورة قديمة، وخط يدّ باهت على ورقة صفراء، ورائحة غير واضحة تذكّرني بأيامٍ مضت.

حين أفتح الرفّ، تتلاشى المسافات بين الماضي والحاضر، ويصبح بإمكاني أن ألمس الحزن الذي جمعنا، والسكوت الذي زرعناه بين كلماتٍ لم تُقل. هناك، على رفّ بعيد من النسيان ، تسكن حكايتنا المهجورة، التي لم يكتب لها الزمن أن تستمر، ولكنها لم تمُت في داخلي.

أحيانًا، أغمض عيني وأستمع إلى صرير الرفّ، كما لو أنه ينادي باسمي، يحاول أن يوقظ ذكرياتٍ غارقة في عمق قلبي. ذلك

الصوت الصامت هو آخر ما تبقى من وجودها، هو الوتر الرقيق الذي يربطني بها رغم كل شيء.

الرفّ ليس فقط مكانًا لوضع الأشياء، بل هو مرآة لقصة لم تُحكى، لم تُعانقها الكلمات، لكنها عاشت في صمت عميق، في وحدتي التي أصبحت كرفٍّ آخر يحمل أثقال النسيان.

كلما فتحت ذلك الرفّ، أشعر بأنني أملك قطعة من روحها، قطعة لا أجرؤ أن أفقدها، حتى وإن كانت تجرحني في كل مرة ألامسها. لأنني أعرف أنني، كما هي، قد نُسينا في عيون العالم، لكننا بقينا على رفّ النسيان، محفوظين بعناية، حيث لا يصل أحد.

لم نلتقِ، نحن تصادفنا

لم تكن لحظة لقاءنا مثل اللقاءات التي يُروى عنها في القصص، ولا كأنها بداية فصل جديد في رواية حياة. لم نلتقِ.. بل تصادفنا. مرت صدفة عابرة في زوايا زمن مهمل، حيث الكلمات كانت قليلة، والعيون تحدثت بصمتٍ أعمق من أي حديث.

كان الصمت هو أول ما جمعنا، ذلك الصمت الذي لم يكن خوفًا أو غربة، بل كان جسرًا هشًا بين روحين متعبتين تبحثان عن ملجأ مؤقت. لم نكن بحاجة إلى الكثير من الكلام، فقد كانت نظراتنا تكفي لتقول ما لا يستطيع الكلام التعبير عنه.

أذكر كيف جلست هناك، في ذلك المقهى القديم، والضوء الخافت يلعب على وجهها، يبرز ظلال الحزن التي كانت تكسو عينيها، حزن لا يُحكى بسهولة، حزن أصدق من ألف كلمة. لم أقل شيئًا، ولم تطل هي الكلام، لكن كل شيء كان واضحًا في الهواء بيننا.

في ذلك اللقاء، لم يكن هناك وعد أو وعد باللقاء مرة أخرى، فقط وجود لحظة مشتركة، صمتنا فيه كان اعترافًا صامتًا بأننا نفهم بعضنا بعضًا، وأن كل منا يحمل قصته المخفية، التي لا يرغب في مشاركتها مع أحد.

كنت أراها كأنها صفحة من كتاب قديم، مغطاة بالغبار، تحتاج لمن يقرأها ببطء، بحذر، وبحساسية. لم يكن اللقاء وليد صدفة عابرة فقط، بل كان بداية تلاقٍ داخلي، حيث بدأ قلبي يدرك أنني أمام شخص ليس ككل الأشخاص.

كانت تلك اللحظة عابرة، لكنها تركت أثراً لن يمحى بسهولة. لم تكن بداية ولا نهاية، بل كانت تلك النقطة التي بدأ فيها كل شيء يتغير في داخلي، نقطة التقاء روحين في بحر من الوحدة.

كأننا عرفنا بعض من قبل

كانت المدينة هادئة، والهواء بارد برائحة التراب القديم والورق الأصفر. عدتُ إلى ذلك المكان الذي جمعنا أول مرة، الغرفة التي احتوت لحظاتنا القليلة، لكن التي أثرت بي أكثر من سنوات.

أمامي رفٌ خشبي متين، يحمل على رفوفه أثقال الذكريات. صورة مهترئة على جانب، تزحف فوقها خيوط الغبار، ودفتر قديم موارب الصفحات، يحمل سطورًا لم تُقرأ، لم تُقال، لكنه لم يفقد حبره، فقط بدأ ينزف بهدوء.

جلستُ هناك، أنظر إلى الزاوية حيث كانت تقف، وكانت عيناها تقبعان تحت ضوء خافت، تعبّر عن قصص غير مكتملة. كانت تتأملني بعينيها الصامتتين، كأنها تقرأ داخلي، بينما كنتُ عاجزًا عن كسر ذلك الصمت.

في تلك اللحظة، لم تكن هناك كلمات تُقال، فقط تلاقح أفكارنا، ووشوشات الماضي التي تملأ المكان بصدى. كل نظرة كانت تسافر بيننا، تعبر عن حكايات لم يُسمع لها صوت.

كان صوتها هادئًا، لكنه كان يحمل في طياته عمقًا لا يمكن تجاهله. "هل شعرت يوماً أننا كنا هنا من قبل؟" همست بصوتٍ تكاد الريح تسرقه.

أجبْتها بصمت، لأن الإجابة كانت تَسكن داخل القلب، بعيدًا عن التعبير. نعم، كأننا عرفنا بعضنا في زمن آخر، في حياة مختلفة، حيث كانت الأرواح تلتقي بلا أسئلة ولا حاجة لكلمات.

وفي ذلك الهدوء، شعرت بالطمأنينة لأول مرة منذ زمن. لم نكن بحاجة إلى وعود أو تعهدات، فقط وجود بعضنا البعض كان كافيًا، ولو كان لفترة قصيرة، ليُشعل في داخلنا شمعة نادرة.

لكن الزمن، كما هو الحال دائماً، بدأ يحاول اقتلاع تلك اللحظات بهدوء، كالعاصفة التي لا تظهر إلا بعد أن تترك آثارها.

وبينما أُغلق الباب خلفي، أدركت أن ما جمعنا لم يكن مجرد لقاء عابر، بل كان ذاكرة ستعيش معي، حتى وإن تلاشت تفاصيلها، ستبقى أثقالها في القلب لا تفارقني.

لا أحد يعرف أننا التقينا

في تلك الزاوية المنسية من المدينة، حيث تلتقي الظلال وتتراقص على جدران المباني القديمة، كان لقاءنا الأول بلا شهود. لم يكن هناك من يعرف أننا تجمعنا في لحظة واحدة، تحت سقف واحد، متقاربين دون أن يعلن لنا العالم وجودنا.

كان الهواء مليئًا بصمتٍ ثقيل، لا ينكسر إلا بأنفاسنا المتقطعة، وهمساتنا التي لم تتجاوز حدود القلوب. عيوننا تلتقي بين حين وآخر، تتبادل معها ما لا نستطيع قوله بالكلام.

في ذلك المساء، لم نلتقط صورًا، لم نكتب أسماء، ولم نتبادل وعودًا تُخلد وجودنا. فقط كنا هناك... كأننا سرٌ صغير يحتفظ به الزمن لنفسه، قصة لا تعرفها إلا الرفوف المتربة في غرفتنا الصغيرة.

كنتُ أراها تُراقبني بعينين تحملان أعباء عمر طويل، وأشعر بأن جزءًا مني يشتعل بالحنين لرؤية تلك الأحاسيس التي طالما هربت منها. كنتُ أريد أن أقول شيئًا، لكن لساني تعثر، وكأن الكلمات صارت دخانًا يذوب قبل أن يصل إلى الشفتين.

وفي كل لحظة، كان يأتي شعور غريب؛ شعور بأن هذا اللقاء لن يُذكره أحد، ولن يُكتب عنه في أي مكان، وكأننا ارتكبنا جريمة صغيرة عبر وجودنا معًا.

كان هذا السر هو ما جعل حضورنا أثقل، وكان ما أعطى لحظتنا قيمة مختلفة. لا أحد يعرف أننا التقينا، ولا حتى نحن أنفسنا، لكننا كنا هناك، في مكان بعيد عن ضجيج العالم، حيث لا يُطلب منا أن نكون سوى أنفسنا.

أنت الذي أفلتَ يدي؟ أم أنا؟

لم يكن الفراق قرارًا واضحًا، لم يكن صرخة أو كسر، بل كان هروبًا هادئًا... هروبًا بالكلمات التي لم تُقال، بالأيدي التي لم تُمسك، بالأمل الذي بدأ يتلاشى بصمت.

كان هناك شيء ما ينفلت من بين أصابعنا، شيء لم نستطع الإمساك به رغم كل المحاولات. نظرتها الأخيرة كانت كأنها سؤال لا يملك جوابًا، كأنها تهمس لي: "هل أنا السبب؟ أم أنك أنت من اخترت الرحيل؟"

كنت أبحث عن تلك اللحظة، عن كلمة توقف السقوط، عن قبضة تمنع الانزلاق إلى هاوية الوحدة التي تهدد أن تبتلعنا. لكن الصمت كان أقوى من الكلمات، والألم كان أعمق من أي اعتراف.

تساءلت كثيرًا، هل كنتُ ضعيفًا؟ هل كنتُ جائرًا؟ أم كان كل شيء مجرد لعبة للقدر لا نملك فيها قرارًا؟

أحيانًا، أتخيلها تمشي بعيدًا، لا تنظر خلفها، تتركني مع ظلي وحيدًا في زوايا هذا الرفّ القديم، ذلك الرفّ الذي يحمل كل ذكرياتنا الثقيلة.

كنت أود لو أستطيع أن أصرخ لها، أن أقول: "ابقِ، لا تذهبي"، لكن الصمت كان يقيد حناني، ويمنعني من الوصول إليها.

في لحظة الانفصال تلك، كنتُ وأنا غارق في كل هذا الألم، أدرك أنني فقدت أكثر من شخص، فقدت نفسي معها، وكل الأشياء التي كنت أعتقد أنها ثابتة في عالمي.

الرحيل لم يكن فقط جسدًا يترك المكان، بل كان قلبًا يُكسر، وحكاية لا تُكتب بل تُهمَس على رفّ بعيد ، حيث تتجمّد الذكريات وتبقى حية رغم كل شيء.

بعض الحزن لا يُنسى، يُخبَّأ

الحزن... ذلك الزائر الثقيل، لا يرحل بسهولة.

ليس كل حزن ننساه، بعضه نحتفظ به، نخزنه، ندفنه في أعماقنا كأنّه كنز مظلم، يخنقنا لكنه في نفس الوقت يذكرنا بمن كنّا وبما فقدنا.

احتفظت برسالتها الأخيرة، ليس لأنّي قرأتها، بل لأنّي أخاف ان أفقدها، خوفًا من أن يذهب معها كل ما تبقى من لحظتنا الصغيرة. تلك الورقة الصفراء كانت شفرة لغزٍ لم يُحل، كلمات مبعثرة بين السطور، صمت يصرخ في كل حرف.

هي كتبت لي مئة رسالة... في خيالها، في خواطرها، في صفحات دفاتر لم تصلني أبدًا. ورغم أني عرفت أنها مزّقتها، كنت أحلم كل ليلة بأنها سترسلها لي، كأنّها تبحث عن ذراعين تقبض عليها، عن صوت يعيدها من الغربة.

كان كلٌ منا يحتفظ بحزنه في زوايا مختلفة. هي في غرفتها، في ظلال وحدتها، وأنا هنا، في ذلك الرفّ الذي بات شاهدًا على الألم. لا نحتاج أن نلتقي، حتى حزننا صار متشابك، يتشارك الهواء الذي نتنفسه.

أحيانًا يزورني ذلك الشعور، كأنه ظلها يهمس باسمي، كأنه ذكراها تحاول أن تخبرني أن بعض الأشياء لا تموت، حتى لو حاولنا أن ندفنها.

كيف يمكن أن يُنسى شيء لا يُقال؟ وكيف يمكن أن يُترك قلب حي في مكانه، بينما نرحل نحن؟

ذلك الحزن الذي نخفيه عن العالم، هو الحكاية الحقيقية، القصة التي لا يكتبها أحد، لكنه ينبض في الصمت ويعيش في وجوهنا حين نلتقي أنفسنا في المرآة.

نحن لم ننسَ... نحن فقط تعبنا

كان ظنّي أننا نسينا، أن الزمن باعد بيننا، طمس تفاصيلنا، محى الأثر، لكن الحقيقة كانت مختلفة تمامًا. لم ننسَ، لا... نحن فقط تعبنا، منهكين من مقاومة فراغٍ لا نهاية له.

كل مرة أظن فيها أنني تخلصت من ذاك الوجع، يظهر فجأة في خاطري اسمه، أو وجهها، أو حتى حركة صمتها التي كنتُ أقرأها وكأنها لغة خاصة بنا.

كل ما بعد لحظتنا كان نسخة باهتة منه، نسخة غير مكتملة، تفتقد للحنين، للصدى، وللهمسات التي كانت تجمعنا. كان كل شيء يدور حول الفراغ، فراغ لم نكن نعلم كيف نملأه.

تعبنا من محاولات الإصلاح، من البحث عن ذرات أمل في ظلام مستمر. تعبنا من أن نكون شخصين مختلفين، من أن نحاول أن نكون سوى ظل لذكرياتنا.

وفي لحظات الوحدة تلك، أدركت أن ما جمعنا لم يكن سهلاً، لكنه لم يكن مستحيلًا. فقط كنا بحاجة لأن نكون أصدق مع أنفسنا، أن نعترف بضعفنا، بخوفنا، بألمنا.

لم ننسَ، بل غاب عنا الطريق، تركنا بعضنا في متاهات النفس، متاهات الألم، متاهات النسيان الذي لا يرغب أن يكون نسيانًا.

كنا نعيش في ذلك المكان، في آنٍ واحد، وفي أماكن مختلفة من الزمان والمكان، نتحرك بلا وجهة، نبحث عن شيء لم نعرفه.

رسائل ضاعت في الطريق

الرسائل التي لم تُرسل كانت أكثر صراحة من كل الكلمات التي قيلت.

كانت خطوط الحبر على الورق تحمل أعباء قلوبنا، تحكي ما لم نستطع قوله وجهًا لوجه، ترسلنا إلى عالم من الذكريات والآهات الصامتة.

كتبته بكلمات متقطعة، بأمل أن تصل إليه قبل أن ينسى، قبل أن يختفي من حياتي كما اختفت كل الأشياء الجميلة. لكن الرسائل لم تصل، ضاعت في الطريق كما ضاع هو مني، تاركة لي فراغًا أكبر من أي صمت.

أحرقتهن مرارًا، لكن لم يكن بإمكاني أن أمحو وجودها من قلبي. كل حرف كتبته كان ينبض بألم، وكل كلمة كانت وصمة لا تفارقني.

هل سمع يومًا عن تلك الرسائل؟ هل شعر بحجم الندم الذي كُتب فيها؟

أم أن ما بيننا كان محكومًا عليه بالفقدان منذ البداية؟

لم تكن تلك الأوراق مجرد أوراق، بل كانت قصتنا المجهولة، حكاية لم تكتمل، كلمات مكتومة بين دفاتر الذكريات.

وفي كل مرة أتذكرها، أعود إلى تلك الرسائل التي لم تُقرأ، التي ضاعت في الطرقات، كأنها نحن... لم نجد الطريق لبعضنا.

لماذا لا تردّ عندما أفكر بك؟

أحيانًا، وسط صمت الليل الثقيل، أجد نفسي أستدعيها في داخلي كما لو كانت روحًا بعيدة تختبئ خلف ستار من النسيان.

أسأل نفسي: لماذا لا ترد؟ لماذا لا تأتي تلك الكلمات التي كنت أود سماعها؟ هل فقدتني كما فقدتني أنا؟ أم أنها اختارت أن تغلق الباب، وتركتني أطرق وحدي؟

كل تفكير بها كان مثل صدى داخلي لا ينتهي، رجع صدى لأشياء تركتها معلقة في الهواء، لم تُحسم، لم تُقال.

كانت صورها تطل من زوايا مخيلتي، ترسم وجهاً لا يغادرني، عيونها التي كانت تلمح الحزن والدهشة في آن واحد، شفاهها التي لم تنطق الوداع، ويدها التي لم تُمسك يدي في اللحظة الأخيرة.

كنت أشعر بها تقترب منّي حين أغلق عيني، كأنها تحاول أن تهمس لي، لكن صوتها كان ضعيفًا، كأن النسيان يحجبها، وكأنها حبيسة بين طيات الزمان والمكان.

أسئلة كثيرة تتراكم في ذهني، لماذا لا ترد؟ هل هي نفسها تشتاق؟ هل تشتاق لشيء لم نتمكّن من تسميته؟ أم أنها تخاف أن تجدني هناك، في ظلال ذكرياتنا، تنتظر أن نعود نكمل ما بدأناه؟

كنت أخاف أن أبدو ضعيفًا أو متعلّقًا، لكن الحقيقة كانت أني لا أستطيع أن أنسى، وأنها جزء مني، مهما حاولت أن أتنكر لذلك.

لم يكن الأمر مجرد حب عابر، بل كان قصيدة لم تُكتب نهايتها، أغنية صمتٍ لم تُعزف، قصة بدأت ولم تُروَ، سؤال بقي بلا جواب.

في النهاية، بقيت وحيدًا أترقب تلك الرسالة التي ربما لن تأتي، أرسل لها صلواتي في صمت، وأنتظرها على رفّ النسيان، حيث تجلس الذكريات وتتغنى بصمتها.

نحن هناك... على رفّ النسيان

لم يكن الرف مكانًا فقط للأشياء التي تُنسى، بل كان مرآة لأرواحنا المشتتة، حيث تركنا أنفسنا تتلاشى بين طيات الزمان.

لم أضعها على رفّ النسيان، بل وضعت نفسي هناك معها. نحن الاثنان أصبحنا حكاية معلقة، صفحة منسية في كتاب لا يقرأه أحد.

في ذلك الرفّ، حيث تصطف الذكريات بجانب الأشياء المهملة، كنا نتشارك الصمت والبعد، نتشارك الألم الذي لا يعرف طريق العودة.

كان وجودنا هناك ليس هروبًا، بل استسلامًا لطيفًا، قبولًا أن هناك أماكن في القلب لا يُمكن أن تُحتل إلا بالفراغ.

لم يكن حبًا بالمعنى الذي يرويه الناس، بل كان شيئًا يشبه انعكاس النفس حين تكون وحدها، صدى لشوقٍ لا يُقال، تلاقي لقلوب مكسورة تبحث عن مأوى.

على رفّ النسيان، لم نعد أبطالًا ولا أعداءً، فقط ظلّين يتشاركان لحظة صمت، لحظة فهمٍ عميق لذاتنا، لحظة حزن تترك أثرًا لا يمحى.

ورغم أن العالم حولنا استمر بالدوران، إلا أننا بقينا هناك، مختفين في زاوية مظلمة، حيث لا يصل ضوء، ولا يسمع أحد صوتنا، لكننا كنا موجودين.

الذكرى التي لا تموت

الذكريات، رغم مرور الزمن، تظل حية فينا كأنها نبضات القلب التي لا تتوقف.

ليست مجرد صور أو أصوات، بل هي عوالم كاملة نسكنها كلما أغلقنا عيوننا، نعود إلى لحظات كنا فيها أكثر حيوية، أكثر صدقًا، وأكثر ألمًا.

الذكرى التي بيننا لم تكن عادية، كانت قطعة من روح لا تُمحى، جرح قديم يتجدد كلما حاولنا أن ننساه.

أحيانًا، أشعر بأنها ترافقني في كل مكان، في كل خطوة أخطوها، وكأنها ظلّ لا يفارقني، يُذكّرني بوجع فقدان لم يكتمل.

لم تكن الذكرى فقط ما تبقى، بل كانت صوتها في صمت الليل، نظراتها التي ما زالت تختبئ خلف جدار العين، وابتسامتها التي تنطفئ تدريجيًا مع كل غروب.

لكن في تلك الذكرى، وجدت نفسي أعيش حياة أخرى، حياة كانت ممكنة لو لم نتفرق، حياة نمت فيها أحلامنا بدلًا من أن تتحطم.

هذه الذكرى ليست مجرد ماضٍ، بل هي حكاية تروى في صمت، قصة حبّ لم يولد، لكن ظلت قائمة فينا، تتحرك كنبض خافت في أعماق القلب.

كلمات لم تُقال

هناك كلمات تبقى محبوسة داخلنا، كلمات لم نجد الشجاعة لنطقها، كلمات تسببت في سقوطنا دون أن نعلم.

في لحظات الصمت الطويل، كنت أسمع تلك الكلمات تُهمس لي، لكنها كانت تختبئ خلف جدران الخوف والشكوك.

لم أقل لها "ابقِ"، لم أخبرها أنني بحاجة إليها، لم أعبّر عن خوفي من الوحدة التي ستلتهمنا.

هي أيضًا لم تبوح بما في قلبها، لم تشاركني تلك الأحلام التي كانت تخاف أن تتحطم.

كانت الكلمات غير المنطوقة ثقيلة، تزن على القلب أكثر من أي جرح مرئي، تزرع بيننا فجوة عميقة، فاصلة بين حاضرنا ومستقبلنا.

أتساءل الآن، هل كانت الأمور ستختلف لو تكلمنا، لو صدقنا بعضنا بعضًا؟ أم أن القدر قد خطّ لنا طريقًا مختلفًا منذ البداية؟

هذه الكلمات، التي لم تُقال، ما زالت تُرَدّد في داخلي، تجعلني أعيش في حالة انتظار، انتظار لأشياء لم تحدث، لأحاديث ضاعت بين الصمت.

ظلال الوحدة

الوحدة، ذلك الرفيق الثقيل الذي رافقنا منذ البداية، كان حاضرًا في كل لقاء وفي كل فراق.

كانت تتسلل ببطء إلى داخلنا، تملأ فراغات لم نكن ندرك وجودها، تكبر في الصمت، وتتحول إلى ظلال تحاصرنا.

في لحظات العزلة، شعرت بها تلمسني، تغلفني، تجعلني أرى العالم من خلال عدسة الضياع.

كنت أخاف أن أتحدث عنها، خشية أن تُصبح حقيقة لا مفر منها، لكنها كانت هناك، لا تختفي، بل تزيد حضورًا مع مرور الوقت.

هي أيضًا عاشت تلك الظلال، شعرت بها تتسلل بين أحضانها، تغذيها ذكريات لم تمح، آلام لم تلتئم، وأحلام تأخرت كثيرًا.

الوحدة لم تكن فقط غياب الآخر، بل كانت حالة من الانفصال عن النفس، انقطاع عن الوعي، تلاشي في عالم لا يرى إلا الصمت.

لكن وسط هذه الظلال، حاولنا أن نجد بصيص نور، ولو خافت، شعاع أمل قد يعيدنا لبعضنا، حتى لو لبضع لحظات فقط.

بين الأمل والندم

الحياة ليست سوى رحلة بين الأمل والندم، ونحن كنا نعيش بين هذين القطبين، نسير على حافة الحلم والخيبة.

كان الأمل يلوح لنا كضوء بعيد، يعدنا بأن الغد سيكون أفضل، وأن الفراق ليس النهاية.

لكن الندم كان يطاردنا، يهمس في آذاننا بأخطاء الماضي، بالفرص التي أهدرناها، بالكلمات التي لم تُقال، باللحظات التي تركناها تفلت من بين أيدينا.

كنا نعيش هذا الصراع بصمت، نتحرك بين رغبة في التمسك بالأمل وخوف من الوقوع في هاوية الندم.

كل قرار اتخذناه كان له ثمنه، وكل لحظة صمت كانت عبارة عن حكاية مليئة بالألم، والحنين، والخوف.

ولكن رغم كل ذلك، ظل الأمل هو ما يحركنا، هو الشعور الخفي الذي يجعلنا نستمر، نبحث عن معنى وسط الفوضى.

النهاية التي لم تكن نهاية

النهاية ليست دائمًا نهاية، بل بداية لشيء جديد، حتى لو كان ذلك الشيء هو قبول الفقدان.

نحن هناك على رفّ الذاكرة والنسيان، لكننا لم نختفِ تمامًا، ما زلنا نعيش في زوايا الذاكرة، في لحظات الصمت، في خفقات القلب.

ربما لم نعد معًا جسدًا، لكن روحنا لم تبتعد، ما زالت تتلاقى في الأحلام، في الأفكار، في لحظات الضعف التي تجعلنا نبحث عن بعضنا.

النهاية التي لم تكن نهاية، هي قصة استمرار الحب بطرق مختلفة، حبٌ يتجاوز المسافات، والأزمان، والصمت.

وفي تلك النهاية، بدأت حكايات جديدة، وأحلام أخرى، تعلمنا منها كيف نكون أقوى، كيف نحب أنفسنا أكثر، وكيف نسمح للذكريات بأن تكون جسرًا وليس عبئًا.

الوقت لا يشفي،هو فقط يعلّمنا الصمت

يقولون إن الوقت يشفي كل شيء. كذبةٌ متقنة الصياغة، نرددها لنهدّئ أنفسنا، لا لنصدقها.

فالوقت لا يشفي، الوقت فقط يعلّمنا كيف نتألم بصمت... كيف نبتسم ونحن نحمل في قلوبنا جرحًا لا يُرى.

في البداية، كنت أقاوم.

كل دقيقة تمرّ كنت أراقبها وكأنها تنزف من عمري، كنت أعدّ الأيام التي لم أسمع فيها صوتها، كنت أبحث في الصور القديمة عن أي ملامح كنت قد نسيتها.

كنت أعود للرفّ، أفتحه وكأنني أريد أن أجد شيئًا جديدًا، شيئًا لم أره من قبل. لكن لا جديد... سوى الغبار، وثقل الذكرى.

ثم جاء يوم توقفت فيه عن العدّ.

ليس لأن الألم انتهى، بل لأنني تعبت من الجري خلف الماضي، تعبت من محاولة استرجاع شعورٍ لم يعد حيًا إلّا في داخلي.

تعلمت من الوقت أن الحنين لا يُطفأ، بل يُخبأ تحت طبقات من الحياة.

تعلمت أن الذكرى لا تُمحى، بل تتحول إلى جزء منّا، نخفيها حين نضحك، ونحضنها حين نكون وحدنا.

بدأت أراقب العالم من خلف زجاج، لا أشارك، لا أتكلم كثيرًا، فقط أراقب. كأنني غريب عن الحياة، كأنني انتظرت شيئًا ولم يأتِ، فانطفأت في منتصف الانتظار.

أصبحت الكلمات قليلة، والوجوه متشابهة، والطرق لا تقودني إلى أي مكان.

لكنّي، رغم كل شيء، لم أكره الحياة... فقط فقدت طعمها. صارت حيادية. باردة. بلا صوت.

والأغرب من كل هذا، أني لم أعد أبحث عنها.

صارت تسكنني بطريقة مختلفة، ليست احتياجًا... بل حضورًا هادئًا، مثل ظلّ شجرة لا تثمر لكنها تحميني من حرّ الذاكرة.

العودة إلى أماكن لم نعد نُشبهها

عدتُ إلى المكان الذي كنا نلتقي فيه...

ليس لأنني أملك شيئًا هناك، بل لأن قلبي ما زال يجرّني نحوه، كأنه يريد أن يتأكد بأن كل شيء قد انتهى بالفعل، أو لعلّ جزءًا مني لا يزال يأمل أن أجدها جالسة في ذات الزاوية، تنتظرني كما كانت تفعل سابقًا.

المكان لم يتغير كثيرًا... الكراسي ذاتها، والجدران المتشققة، والضوء الخافت الذي يمنحك إحساسًا بالزمن الطويل والذكريات المثقلة بالتعب.

لكنني أنا... تغيرت.

لم أعد ذلك الشخص الذي كان يأتي ضاحكًا، يتردد في لمس يدها، ويخجل من أن يقول "اشتقت إليك."

صرتُ إنسانًا ينظر بصمت، يراقب كل شيء دون أن ينطق، لا ليراجع الذكريات... بل ليرحل عنها بهدوء.

جلستُ في مكاني المعتاد، وأخذت أستمع إلى صوتها في رأسي، لم يكن واضحًا، بل أشبه بهمسٍ مرّ من حلم قديم.

"لا تتعلق بالمكان... فحتى الأماكن تتغير، وإن بقي شكلها كما هو".

يا الله... بضع كلمات كانت تقولها، وما زالت حتى اللحظة تسكن داخلي، تغيّر مزاجي، وتربكني.

حتى فنجان القهوة لم يعد بطعمه القديم.

ربما لأنّ عينيها لم تعودا تراقباني، أو لأن يدي باتت باردة، أو ربما لأن قلبي فقدَ شهيّته للحياة منذ زمن.

والأغرب...

أنني شعرت بالغربة.

غريبٌ عن الكرسي، عن الهواء، عن نفسي.

كأنني أقف على باب ذاتي، أدخل فلا أجد أحدًا.

بعض الأماكن لا نعود إليها لنعيش الذكرى... بل لنودّعها.

لنواجه الحقيقة كما هي: ليس كل ما فقدناه يعود، وإن عاد... لن يكون كما كان.

الانتظار... أسوأ أشكال الحب

لم يخبرني أحد أن الحب يمكن أن يكون صامتًا... مؤلمًا... يابسًا كغصنٍ نسي كيف يُزهِر.

ولم يُنبّهني أحد إلى أن أقسى أشكال الحب، هو ذاك الذي تعيشه وأنت تنتظر.

لا تنتظر لقاءً، ولا رسالة، ولا حتى عذرًا.

بل تنتظر شيئًا لا تعرف ما هو... شعور، لمسة، نظرة، تنهيدة... أي أثر منها كان سيكفيني.

كنت أبحث في وجوه الناس عن شيء يشبهها، عن حركة يد، طريقة مشي، ضحكة تماثل ضحكتها.

لكن لا أحد يشبهها.

ولا حتى ظلّها.

الانتظار ليس جلوسًا فحسب...

الانتظار هو أن تحيا بجسدك، وتترك قلبك واقفًا عند لحظة واحدة، تُعيدها وتُعيدها بلا نهاية...

تبني حوارًا لم يحدث، ترد على رسالة لم تصل، وتفكر بعذر لن يسمعه أحد.

وفي كل مرة مررتُ بذلك المكان الذي جمعنا، كنت أراها هناك...

ليست موجودة فعليًا، لكن خيالي يحتفظ بها بدقة مؤلمة.

شعرها مسدلٌ على الجانب، عيناها تنظران إلى الزاوية، وصمتها يقول لي: "هل ستبقى لي؟"

وأنا، كالأحمق، أجيبها في داخلي: "سأبقى... لكنني أخشى أن تكوني أنتِ من سيفلت".

وقد أفلتت.

كما يفلت الماء من بين الأصابع... كل شيء كان ناعمًا، وكل شيء انزلق من يدي.

ما من شيء يؤلم كـ الانتظار،

لأنه يخدعك، يمنحك وهماً، ويجعلك تأمل، رغم أنك في أعماقك تعلم... أن لا شيء سيعود.

لكنّك رغم ذلك... تظل تنتظر.

الحبّ الذي لا يعرف اسمه

بعض المشاعر لا يمكن تسميتها.

ليست حبًا صريحًا، ولا صداقة عابرة، ولا حتى شوقًا تقليديًا.

بل هي حالة بينية... رمادية اللون، تنمو في المساحات التي لا يراها الآخرون، وتكبر في صمت، تمامًا كزهرة لا تحتاج الشمس، بل تنمو من العتمة.

ذلك الشعور الذي كان بيننا، لم يكن بحاجة إلى وعود، ولا إلى اعترافات.

كان يكفينا أن نصمت في ذات الزاوية، وأن نترك العيون تتكلم، وأن تكتفي أرواحنا بالتنفس على مقربة من بعضها.

لم يكن حبنا معلنًا، لا أحد يعرفه، ولا حتى نحن كنا متأكدين إن كنا نحيا حبًا... أم هروبًا من الوحدة.

كانت هي عالمًا من الغموض...

كأنّها تعيش على حافة الجرح، لا تدخل في عمقه، ولا تبتعد عنه تمامًا.

تمنحني القليل... لكن ذلك القليل كان يشبه المعجزة.

نظرة... سؤال صغير... صمتٌ مليء بالاحتمالات.

وأنا؟

كنت أُتقن دور الذي لا يطلب شيئًا، لا يضغط، لا يسأل، فقط ينتظر اللحظة التي تفتح فيها روحها، وتدعوني للدخول.

لكني بقيت خلف الباب، أطرق بلطف، أخشى أن أوقظ ألمها.

في كل مرة التقيتها، كنت أعرف أن ثمة مسافة خفية بيننا...

مسافة لا تُقاس بالخطوات، بل بالخوف... بالخوف من التورط، بالخوف من الفقدان، بالخوف من أن نُحبّ بشدة ثم نفقد كل شيء دفعة واحدة.

كان حبًا لا اسم له، لكنه كان يعيش فينا مثل اسمٍ ثانٍ... لا ننطقه، لكنّه يُعرّفنا.

حين يتعلّم القلب أن يعيش وحده

ليس من السهل أن يتعلّم القلب أن يعيش وحده.

هو ليس مخلوقًا للوحدة... بل خُلق ليشارك، ليمنح، ليتعلّق، ثم يحزن حين يُسحب منه من تعلّق به.

لكن في لحظة ما، يتوقّف القلب عن طلب الرفقة.

لا لأنه اكتفى، بل لأنه خاب، خذله الانتظار، خذله التعب، خذله الرجاء الذي لم يُثمر.

في البداية، كان كل شيء من حولي يذكّرني بها.

رائحة المقاهي، صوت الأغاني الخافتة، حتى أصوات المارة... كأنّها تتسلّل من بين الحروف، لتقول لي: "ما زلت هنا".

لكن شيئًا فشيئًا، بدأ قلبي يتعلّم كيف يصمت حين يشتاق، وكيف يبتلع اسمه دون أن يرتجف، وكيف يراها في الخيال... ثم يغضّ الطرف بهدوء.

لم أعد أقاوم الحنين، بل صرت أتركه يمرّ بي كنسمة عابرة، لا أتمسّك بها، ولا أطردها.

صرت أعرف أن البكاء لا يعيد أحدًا، وأن الرسائل التي لا تُرسل أفضل من تلك التي لا تُجاب.

علّمني الفقد أن أكون أنضج، أن أختار نفسي أخيرًا، بعد أن كنتُ دائمًا أختار الآخر.

أن أقول لنفسي: "كفى، لقد أرهقتَ قلبكَ، دعهُ يستريح".

صرتُ أمشي وحدي، لكن بثبات.

أكتب لها أحيانًا، لكن لا لأرسل، فقط لأفرّغ ما بقي منها في داخلي.

أنا لا أكرهها، ولا ألومها، فقط تعلّمت أن أعيش بدونها...

وهذا، بحدّ ذاته، نوع من الحبّ الصامت... الذي لم يمت، بل تحوّل إلى حكمة.

ما لا يراه الآخرون

هناك نوع من الحزن لا يظهر على الوجوه.

نوع من الانكسار لا يُرى في العين، بل يختبئ في الطريقة التي نصمت بها، في نبرة صوتنا حين نقول "أنا بخير"، ونحن لا نقصدها.

لم يكن أحد يعرف أنني أفتقدها كل يوم.

أنني حين أضع رأسي على الوسادة، لا أغفو فورًا، بل أبدأ رحلة طويلة من التذكّر... أسترجع حديثًا، أو ضحكة، أو حتى خلافًا قديمًا.

كنت أبحث عن أي شيء يجعلها تعود لحظات، فقط لأشعر أنني ما زلت على قيد ذلك الحب.

ما لا يراه الآخرون هو أنني أعيش نصف حياة.

النصف الظاهر منهمك في العمل، في الضحك، في المجاملة، والنصف الآخر... هناك، في مكانٍ معتم، لا يدخله أحد.

يخبّئ صورتها، واسمها، وتفاصيلها الصغيرة التي لم أتخلّ عنها، رغم كل شيء.

ما لا يراه الآخرون هو تلك الرعشة التي تصيبني حين أسمع اسمًا يشبه اسمها، أو حين تمرّ من جانبي رائحة عطر كانت تضعه.

هو ذلك الانقباض الصغير الذي لا يظهر على ملامحي، لكنه يخنقني من الداخل.

أحيانًا، كنت أتمنى أن يراني أحد كما أنا فعلًا، لا كما أبدو.

أن يلاحظ الارتباك حين يُذكر الحب، أو الصمت الطويل بعد سؤال عابر.

لكن لا أحد يلاحظ.

ولهذا... احتفظت بكل شيء لنفسي.

قررت أن يكون حزني خاصًا، لا يُشرح، لا يُشارك، بل يُحفظ كأثرٍ عميق، لا يُمسّ.

لأن بعض الخسارات لا تحتاج إلى عزاء... بل إلى صمت طويل، وحبٍ لا يُقال.

هل كنتَ صادقًا... أم فقط خائفًا؟

سؤال واحد ظلّ يطاردني:

هل كنتُ أحبها حقًا؟

أم أنني كنت فقط خائفًا من أن أفقد شخصًا جعلني أشعر أنني لست وحدي؟

أعدتُ طرح هذا السؤال على نفسي مرارًا...

في كل ليلةٍ كنتُ أحادثها فيها داخلي، وفي كل رسالة كتبتها ولم أرسلها، كنتُ أتهرّب من الإجابة، كما يتهرب الجبان من مرآته.

ربما أحببتها... لكن على طريقتي.

بطريقتي الأنانية أحيانًا، المترددة دائمًا، الصامتة غالبًا.

كنتُ أظن أن وجودها الدائم مضمون، أن صبرها لا ينفد، أن غيابها مجرد تهديد لا أكثر.

كنتُ واثقًا من شيء لم أملكه أبدًا.

لم أكن صريحًا، لا معها ولا مع نفسي.

أخفيت خوفي خلف الكبرياء، وأخفيت حاجتي لها خلف كلمات باردة، وجمل قاسية كنت أُلقيها دون أن أدرك كم كانت تجرح.

والآن، بعد كل هذا الغياب، وبعد كل هذا الوقت الذي مرّ دونها، أواجه نفسي للمرة الأولى بصدق:

أنا لم أكن صادقًا كفاية.

كنتُ خائفًا... من الحب، من الخسارة، من التعلّق، ومن أن أُجرح من جديد.

وهي...

كانت أكثر شجاعة مني.

واجهتني بحبّها، بوضوحها، بضعفها الذي لم تخف منه.

أما أنا، فاخترت أن أكون جدارًا.

صلبًا من الخارج، هشًّا من الداخل.

واليوم، أدفع ثمن ذلك الجدار... بوحدتي.

هل لنا أن نعود؟

أجلس وحدي بين أطلال الذكريات، أتساءل بصوت خافت: هل لنا أن نعود؟

هل نستطيع أن نعيد الزمن إلى الوراء، نعيد الخطوات، الكلمات، وحتى الصمت الذي جمعنا؟

كل زاوية في هذا المكان تذكّرني بك، بكل لحظة كنا فيها قريبين، بكل ضحكة وبكل دمعة لم تُشارك بعد.

أتذكر الأيام التي مرت بسرعة دون أن ندرك قيمتها، اللحظات التي ظننا أنها ستستمر إلى الأبد، لكنها انطفأت كما ينطفئ ضوء شمعة في ليلة عاصفة.

التفاصيل الصغيرة، التي كنا نعتبرها عادية، أصبحت اليوم كنوزًا نبحث عنها بلا جدوى، تذكّرنا بما فقدنا، بما لم ننجح في الاحتفاظ به.

كل شيء بدا وكأنه يصرخ: "لا يمكننا العودة"، لكن قلبي يرفض التصديق.

أتمنى أن أستيقظ في صباح آخر، أجدك بجانبي، أرى في عينيك نفس الحنين الذي أحمله بداخلي، أن نتحدث دون خوف، أن نعيش اللحظة كما كانت.

لكن الواقع يبتسم بسخرية، ويذكرنا بأن الوقت لا يعود، وأن بعض الأشياء تُترك خلفنا، كما تُترك أوراق الشجر مع الريح.

وفي النهاية، تبقى الأسئلة معلقة في الهواء، والذكريات ترافقنا كظل لا ينفصل عنا، نتأمل، نتمنى، ونحلم... هل لنا أن نعود؟

لكن ربما، الجواب ليس في العودة، بل في قبول ما بقي لنا من أثر في القلب، وما تبقى من ذاكرتنا المشتركة.

ما تبقى منك

في زحمة الأيام، يبقى شيء منك حفر في قلبي أثرًا لا يُمحى.

كل شيء حولي يذكّرني بك، حتى الصمت في الغرفة يحمل صوتك الخافت.

الشارع، الزوايا، رائحة المطر، وحتى ضحكات الغرباء... كل هذا يعيدني إليك، كأنك لم ترحل أبدًا.

حاولت أن أنسى، حاولت أن أضعك بعيدًا عن عيني، لكنك بقيت في كل تفاصيل صغيرة، في كل كلمة لم تُقال، في كل ابتسامة ضاعت قبل أن تُهديها لي.

قلبي يئن بصمت، يحمل ما تبقى منك: ذكريات مشوشة، حنين لا ينتهي، وحبًا لم يكمل طريقه.

أحيانًا أشعر بأنك هنا، بين السطور، بين أنفاسي، كأن روحك لا تريد الرحيل.

أمسكت بالصور القديمة، حاولت أن أستعيد اللحظات، لكن كل محاولة كانت كأنما أُعيد كتابة الجروح.

ما تبقى منك ليس شخصًا، بل شعور لا يموت، ظلّ يرافقني في كل خطوة، في كل مكان، في كل ثانية من حياتي.

وفي النهاية، علمت أن البقاء ليس للأجساد فقط، بل للذكريات، ولما تركته خلفك من أثر لا يزول... ما تبقى منك هو ما جعلني أعيش، وأتألم، وأستمر رغم كل شيء.

همسة الريح

الريح تمر بصمت في الليل، تحمل معها أصواتًا بعيدة، همسات من زمن مضى لا يعود.

جلست على حافة النافذة، أستمع لكل نَفَس، كل صفير، وكل هبوب خفيف... وكأن الريح نفسها تحاول أن تنقل لي رسالة منك، رسالة لم تُكتب ولم تُقال.

تذكرت خطواتك على الأرض الرطبة بعد المطر، ضحكتك التي كانت تتسلل بين الأصوات الصاخبة، وحتى صمتك الذي كان يختصر كل الكلام الذي لم نستطع قوله.

كل مرة تهب فيها الريح، يختلط الهواء بالماضي، فتشعر أن كل ما مضى ما زال حيًا بداخلي.

أتذكر حديثنا الأخير، تلك اللحظة الصغيرة التي ظننت أنها عابرة، لكنها تركت أثرًا أثقل من الجبال.

همست الريح باسمك، كأنها تعرف أنني أبحث عنك في كل زاوية من حياتي، كأنها تقول لي: "هو هنا... لكنه بعيد."

الليل يزداد برودة، ومعها يزداد الحنين ثقلًا على صدري.

أشعر بأنك تتحدث إليّ من مكان بعيد، تتقاطع مع كل شعورٍ دفين في داخلي، وتترك خلفك أثرًا من الغياب لا يُمحى.

حتى صمتُ الريح صار كلامًا، صمتٌ مليءٌ بالأسئلة: لماذا رحلتَ؟ ولماذا بقيت الذكريات وحدها تحملنا؟

وفي النهاية، أدركتُ أن الريح ليست مجرد هواء، بل سفير الذكريات، وأن كل هبوب لها يحمل جزءًا منك، جزءًا من روحك التي لا تزال تسكن قلبي.

همسة الريح... تذكّرني بك دائمًا، تجعل قلبي يئنُّ، وتجعل الذكريات تعانق الحزن بصمت، بلا بداية ولا نهاية.

أحلام ضائعة

أجلس في الظلام، أفتح عينيّ على فراغ يبدو بلا حدود، وأجد نفسي أتلمّس أطيافَ أحلامٍ لم تتحقق.

كلّ حلم حلمناهُ معًا كان وكأنه نور صغير في نهاية نفق طويل، لكن الزمن سرقنا، وتركنا نبحر في بحر من الانتظار والخيبات.

أتذكر تلك اللحظات التي خططنا فيها للمستقبل، للحياة التي رسمناها بأناملنا، للوعود الصغيرة التي كنا نهمس بها دون أن يعلم أحد.

كل حلم ضاع مثل ورقة تُطيّرُها الريح، وكل خطوة لم نخطوها تركت مكانها فراغًا لا يملؤه شيء.

أشعر بالحنين لكل فرصة فاتتني، لكل كلمة لم تُقال، لكل لحظة كنا نظنها ستبقى معنا إلى الأبد.

حتى الآن، أستيقظ أحيانًا على صدى ضحكات لم تعد تُسمَع، وعلى شعور بالفقد لا يعرف طريقه للرحيل.

الأحلام الضائعة ليست مجرد أماني لم تتحقق، بل أجزاء منّا، قطع من الروح تظلُّ معلقة في الزمن، تبحث عن طريقها للعودة، لكنها لا تجد سوى الصمت.

وفي النهاية، أدركت أن الحياة تمضي، وأننا نحمل أحلامنا الضائعة معنا في الصمت، كذكرى حزينة لكنها جميلة، تذكرنا بما كنا وما كنا نريد أن نكونه.

رسالة مفقودة

وجدتها أخيرًا، الورقة الصفراء التي كتَبَتها يدك قبل سنوات، لكنها لم تصل أبدًا إلى يدي.

رائحة الحبر القديم ما زالت عالقة، وكأنها تحمل صدى صوتك، كلماتك التي لم أنطق بها، مشاعرك التي لم تُفصح عنها.

كل جملة فيها كانت كنبضة قلب منك، رسالة لم تكتمل، حلم لم يتحقق، لحظة لم تُستعاد.

حاولت أن أقرأ بين السطور، أن أفهم ما بين الكلمات، لكن الرسالة تحمل صمتًا أكبر من أي كلام.

الفراغ بين الحروف يصرخ بما لم يُقال، والسطور تنزف مشاعر ضاعت مع الزمن.

تساءلتُ: كم من الأشياء تبقى مفقودة في حياتنا؟ كم من كلمات لم تُرسل، وقلوب لم تصل؟

جلست أقرأ الرسالة مرارًا وتكرارًا، وكل مرة أجد فيها شيئًا جديدًا، ذكرى كانت مخفية، ابتسامة لم تُعطَ، دمعة لم تُسكب.

الرسالة لم تكن مجرد ورق، بل جزء منك بقي عالقًا في قلبي، شيء لم يمت، شيء يجعلني أعيش بين الماضي والحاضر بلا نهاية واضحة.

وفي النهاية، فهمت أن الرسائل المفقودة ليست خسارة كاملة، بل جسر بين ما كان وما تبقى لنا أن نتذكره... وما تبقى منك هنا، بين الحروف، لن يضيع أبدًا.

مَنْ ترك مَنْ؟

في صمت الليل، يقف السؤال بلا جواب: مَنْ ترك مَنْ؟

هل تركَتَني أنا أولًا، أم أن قلبي انسحب قبل أن ترحل؟

كل مكان حولي يصرخ بالغياب، الجدران تحمل صدى خطواتك، والهواء يعبق بذكراك، لكنك غير موجود، وكأنك كنت حلمًا لم يكتمل.

أتذكر كيف كنا نمشي جنبًا إلى جنب، نحلم ونخطط ونضحك، وكيف تحولت تلك اللحظات إلى صور باهتة تتلاشى مع مرور الزمن.

كل كلمة قلتُها أو لم أقُلها، كل وعد وُعِد ولم يتحقق، كل لمسة اختفت... تجعلني أتساءل: هل تركَتَني أم أنني تركتكَ قبل الأوان؟

الليل يزداد سوادًا مع كل لحظة تفكير، والذكريات تثقل كاهلي.

أشعر بالفراغ في داخلي، كأن جزءًا مني رحل معك، وجزءٌ آخر بقي عالقًا، يصرخ باسمك بلا توقف.

حتى الصور القديمة، التي اعتقدتُ أنها تحملنا معًا، صارت شاهدة على الفقد، تهمس لي: كل شيء انتهى، وكل شيء ترك خلفه أثرًا لا يُنسى.

الحزن هنا ليس مجرد شعور، إنه وجود حيّ في قلبي، ينخرني صمتًا، ويذكّرُني بأننا تركنا بعضنا بطريقة لم تفهمها الروح بعد.

أجلسُ وحيدًا، أسأل نفسي مرة بعد مرة: مَنْ ترك مَنْ؟

وكل مرة يمر فيها الهواء، أحس وكأن الريح تهمس بالإجابة، لكنها مجرد صدى من الماضي، صدى مؤلم يجعلني أعيش بين فقدانك وبقائي وحدي.

في النهاية، أدركت أن الحياة أحيانًا ليست عن من ترك، بل عن ما يتركه الغياب من ألم في القلوب، عن أثر لم يزول، وعن الحزن الذي يصبح رفيقًا دائمًا.

حنينٌ خفي

هناك حنينٌ لا يُقال، حنينٌ يختبئ في عمق القلب، يظل صامتًا لكنه لا ينام أبدًا.

أحيانًا، يزحف بين لحظات النهار بهدوء، يلمس الذكريات القديمة، يوقظ صورك وصوتك في صمت المكان.

لا أحد يشعر به إلا من عرفك حقًا، ومن حمل قلبه لك، لكنه لا يستطيع أن يعبّر عنه.

أحاول أن أهرب منه، أملأ قلبي بأشياء أخرى، أملأ يومي بضوضاء الحياة، لكن الحنين يطرق الباب دائمًا، يهمس باسمك، يذكرني بما فقدنا.

كل ركن في البيت، كل شارع مررنا به، كل أغنية سمعناها معًا... كلها تتحول فجأة إلى نافذة يطلُّ منها هذا الحنين الخفي.

أشعر أنه يربطني بك حتى وإن غبتَ عني، يذكرني بكل ما لم يُقال، بكل لحظة لم نتمكن من أن نعيشها كما تمنينا.

الحنين الخفي ليس حزنًا بحتًا، لكنه ألمٌ جميل... ألمٌ يذكرك بأنك كنت جزءًا من حياتي، وأن ما تبقى منك ليس مجرد ذكرى، بل شعور حي يرافقني في كل ثانية.

حتى في اللحظات التي أبتَسمُ فيها، يظل هذا الحنين يهمس، يذكرني بالحب الصامت، بالعشق الذي لم يجد طريقه للعلن، وبكل ما تركتَهُ خلفك من أثر في قلبي.

وفي النهاية، أدركتُ أن الحنين الخفي هو ما يجعلنا نعيش الماضي ونحن على قيد الحياة، هو ما يحفظ من نحب في قلبنا، ويجعل الذكريات صافية، مؤلمة، وجميلة في آن واحد.

كلمة أخيرة

هناك كلمات تُقال مرة واحدة، ويظلُّ صداها يرن في القلب إلى الأبد.

كنت أظن أن كلّ شيء قد قيل، وأن كل لحظة قد عاشت، لكن هناك دائمًا كلمة أخيرة، لم تَخرج من فمي، لم تصل إلى قلبك، لكنها تظلُّ معلقة بيننا.

أتذكر كل مرة حاولت أن أتكلم، لكن الخوف والحنين والوقت اختلطوا، فأغلقتُ فمي، وبقيت الكلمة محبوسة في صدري.

تلك الكلمة كانت لتقول كل شيء: حبًا، شوقًا، اعتذارًا، وحنينًا... كلُّ ما شعرتُ به ولم أستطع أن أعبّر عنه.

أحيانًا أشعر بأنك تعرفها دون أن أنطقها، وأنك تسمعها في صمت القلب، لكن الواقع يبقى صعبًا، والفراغ كبيرًا.

اللحظات الماضية تجلس بجانبي، كل ضحكة، كل دمعة، كل لمسة كانت تحمل معناها.

والكلمة الأخيرة... لم تكن مجرد كلمة، بل خلاصة كل المشاعر التي حملتُها في داخلي لك، كل ما لم أستطع أن أنساه، وكل ما ترك أثرًا في قلبي لا يُمحى.

وفي النهاية، علمتُ أنّ الكلمة الأخيرة ليست دائمًا للنطق، أحيانًا هي صمتك، هي نظرتك، هي ذكرى كل ما كان، وهي ما تبقّى مني ومنك معًا... في القلب، في الروح، همسات على رفّ بعيد من النسيان.

نهاية بلا وداع

لم يكن بيننا وداع.

لا كلمة أخيرة، لا نظرة طويلة، لا لحظة تتيح لنا أن نقول: انتهى الأمر.

كل شيء انسحب بصمت، كما يذوب الضوء في آخر النهار.

لم أكن أظن أن القصص تنتهي هكذا.

كنت أظن أن لكل شيء نهاية واضحة، مشهد ختامي، دمعة، عناق، أو على الأقل، كلمة "إلى اللقاء."

لكننا لم نمنح أنفسنا ذلك... ولم يُمنح لنا.

مرّت الأيام، وتراكم الغبار فوق الذكرى، لكنني لم أنسَ.

ما زالت تفاصيلها تسكنني، لا كوجع، بل كشيء عزيز، كغصّة ألفتها، وتعلمت أن أعيش بها.

ربما لم نكن مهيئين لبعضنا.

ربما جئنا لبعضنا في التوقيت الخطأ، أو بحجم ألمٍ أكبر من أن نتحمله معًا.

لكن رغم كل ما لم يحدث، أنا ممتن.

ممتن لأنها عبرت حياتي، لأنها منحتني لحظات شعرت فيها أنني موجود، مرئي، مفهوم.

ولو للحظة قصيرة... عشتُ بكامل قلبي.

الآن، حين أنظر إلى الوراء، لا أبحث عن تفسير.

فبعض القصص لا تحتاج إلى منطق، هي فقط تحدث، تمرّ كالعطر، وتبقى عالقة في الروح.

نهاية قصتنا لم تكن مشهدًا دراميًا...

كانت مجرد انسحاب هادئ... كأنها لم تكن.

لكنّها كانت.

كانت، وبقيت، همسات على رفّ بعيد...

ذلك الرفّ الذي لا ننسى عليه، بل نضع عليه ما لا نستطيع أن نحمله دائمًا معنا.

الخاتمة

وهكذا... تُطوى صفحتنا.

ليس بصرخة، ولا بخلافٍ عنيف، ولا حتى بوداعٍ يُكتب في الذاكرة... بل طُويت بهدوءٍ يشبه غياب الضوء عن غرفة نُسيت شباكها مفتوحًا لليل.

مضت هي في طريقها...

لكنها لم تخرج من داخلي.

ما زالت صورتها تلمع في زوايا الذاكرة، ما زال صوتها يُعاد في رأسي بلا إذن، وما زالت بعض الكلمات التي لم تُقل تطرق جدران صدري كلما خلوتُ بنفسي.

لم تكن مجرّد امرأة مرتْ في حياتي، كانت شيئًا يشبه الحياة ذاتها...

ذلك الشعور الذي يُولد من العدم، ويأخذك بعيدًا عن نفسك، ثم يعيدك مُنهكًا، لكن أكثر وعيًا، وأكثر صمتًا.

في كل مرة حاولت أن أنساها، كنت أكتشف أن النسيان لا يُفرض، ولا يُؤمَر به.

النسيان لا يأتي حين نريده، بل حين يقرر القلب أن يتخلى...

وقلبي، للأسف، لم يتخلّ عنها قط .

ويتناسب مع هذه النهاية قصيدة لأبو فراس الحمداني يقولُ فيها

أَقولُ وَقَد ناحَت بِقُربي حَمامَة

أَيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي؟

مَعاذَ الهَوى ماذُقتِ طارِقَةَ النَوى

وَلا خَطَرَت مِنكِ الهُمومُ بِبالِ

أَتَحمِلُ مَحزونَ الفُؤادِ قَوادِمٌ

عَلى غُصنٍ نائي المَسافَةِ عالِ

أَيا جارَتا ما أَنصَفَ الدَهرُ بَينَنا

تَعالِي أُقاسِمكِ الهُمومَ تَعالِي

تَعالَي تَرَي روحاً لَدَيَّ ضَعيفَةً

تَرَدَّدُ في جِسمٍ يُعَذِّبُ بالِ

أَيَضحَكُ مَأسورٌ وَتَبكي طَليقَةٌ

وَيَسكُتُ مَحزونٌ وَيَندِبُ سالِ

لَقَد كُنتُ أَولى مِنكِ بِالدَمعِ مُقلَةً

وَلَكِنَّ دَمعي في الحَوادِثِ غالِ

وها أنا ذا، أقف في نهاية الحكاية، أنظر إلى الطريق الذي سرناه معًا، فأجده مليئًا بما لم يُعش، بما لم يُقل، بما لم يُكتمل.

نهايةٌ بلا نهاية، صمتٌ بلا تفسير، وخسارة لا تُشبه أي خسارة.

وإن سألني أحدهم عنها يومًا...

لن أقول: "نسيتها".

بل سأهمس: "ذهبت... لكنها لم تذهب من بالي".

هي الغائبة الحاضرة،

التي تركتني، وما زالت تسكنني،

التي أغلقت الباب خلفها... لكن ظلّها بقي واقفًا هناك، ينتظر أن أفتح له مرة أخرى.

ربما لن نلتقي من جديد،

وربما الزمن لن يُصلح ما أفسده التردّد والخوف،

لكن شيئًا في داخلي سيبقى يكتبها...

ويحبها،

ويفتقدها...

دون أن يُحدّث أحدًا عنها.

في زحمة الحياة ووسط ضجيج الذكريات، هناك رفٌّ منسيّ نُخبئ عليه وجوهًا لم نعد نراها، وأحاديث لم نعد نسمعها، ومشاعر لم نعد نُفصح عنها.

رواية "على رفّ النسيان" ليست مجرد حكاية، بل رحلة داخل الذاكرة... حيث يقف الزمن عند لحظة، ويتجمد الشعور في وجعٍ لم يُقال.

عن أولئك الذين مرّوا فينا كالعابرين، لكنهم تركوا خلفهم فوضى لا تهدأ، وأثراً لا يُمحى.

عن محاولات النسيان الفاشلة، والخذلان الذي لا يُشفى، والحنين الذي ينهش القلب بصمت.

هنا لا توجد نهايات سعيدة، بل قلوب أنهكها التوق، وحكايات انتهت قبل أن تبدأ حقًا.

رواية عن الفقد، لا الموت... عن الرحيل، لا الغياب... عن الحب، لا العِشق.

عنك... وعنهم... وعن كل من بقي عالقًا في الذاكرة رغم كل محاولاتنا لإزاحته.